



التوحيد

المحاضرات

اللقاء الرابع من تفسير سورة سبأ | شرح الآيات 20-22

2024-07-22

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

حيّاكم الله جميعاً إخواني الكرام، وحيّا الله شيخنا الدكتور علاء، جزاه الله خيراً على حضوره ومشاركته هذا اللقاء الطيب بكم وبعد:

مقدمة على ما قد سلف:

نحن مع اللقاء الرابع في تدبر سورة سبأ، وهذه السورة كما أسلفنا هي سورة الحمد، وسورة الشكر لله تعالى، وقد افتتحت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْخَمْرُ فِي
الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1)

(سورة سبأ)

فهي سورة من السور المفتحة بالحمد، وتميّزت بأنها ذكرت الحمد لله تعالى في الآخرة (وَلَهُ الْخَمْرُ فِي الْآخِرَةِ) وله الحمد، هذا أسلوب قصر وحصر، وحده جلّ جلاله يُحمد في الآخرة، على كل ما يكون، (وَلَهُ الْخَمْرُ فِي الْآخِرَةِ) ثم ذكرنا في اللقاء الثاني نموذجين من النماذج التي ذكرها المولى جلّ جلاله للشاكرين من عباده، وهما نبيا الله تعالى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، داوود وسليمان، وكان موطن الشاهد فيهما قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ

شُكْرًا □ وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)

(سورة سبأ)

وهي الجملة المفتاحية في السورة إن صح التعبير، وهو أنَّ العمل كله ينبغي أن يكون شكرًا لله، فتجارتك شكرًا لله، ونظرك شكرًا لله، وسمعتك شكرًا لله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا □) أي اجعلوا نعم الله تعالى عليكم مستثمرةً في شكره، وهبك نظراً فلا تنظر إلا إلى ما أحله الله تعالى، أي استخدم نعم الله تعالى في شكر الله، وسليمان عليه السلام أيضاً من نماذج الشاكرين لله تعالى.

في اللقاء الماضي تحدثنا عن مملكة سبأ ونموذج لغير الشاكرين، الذين لم يصرفوا النعمة في الوجوه التي أحلها الله تعالى، بل جعلوها فيما يخالف شرع الله تعالى، فمَرَّقهم الله تعالى كل مَمَرَّق، وجعلهم آيةً لكل صَبَّارٍ شكور، وتوقفنا هنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَجَادِيْتًا وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مَمَرَّقٍ □ إِنْ فِي
دُلكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)

(سورة سبأ)

واليوم نتابع الحديث في تعقيب الله تعالى على قصة سبأ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيْبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (20)

(سورة سبأ)

إبليس آيسُ من رحمة الله تعالى:

(صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أي أكَّد ظنَّه، إبليس من الإبلاس وهو البأس، وإبليس والعباد بالله آيسُ من رحمة الله، الله تعالى خلق الإنس وخلق الجن، فكان منهم الشياطين، وهُم مردة الإنس ومردة الجن، فكل من تمرَّد على طاعة الله تعالى فهو شيطان، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا سَيَّاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
غُرُورًا □ وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ □ قَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)

(سورة الأنعام)

قدّم شياطين الإنس على شياطين الجن تقديم أهمية، لأنَّ شيطان الجن يخنس إذا ذُكر الله تعالى، بينما شيطان الإنس أو صديق السوء يأتيك من حيث لا تحسب، فيوسوس لك وأنت تظنه من الناصحين.

فمردة الإنس والجن شياطين، وعلى رأس شياطين الجن إبليس، وشتمَّ إبليس لأنه يأتسُّ من رحمة الله، من أبلس إذا يئس، من الإبلاس وهو الإياس مع الحزن والندم، فهذا حال إبليس نعوذ بالله تعالى من حاله وحال الشياطين من الإنس والجن.

ما معنى (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ)؟ إبليس ماذا كان ظنُّه؟ كان ظنُّه أن يغوي عباد الله، كان ظنُّه أن يقعد لهم صراط الله المستقيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ قِيمًا أُغْوِيَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآئِبْتَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
 وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۚ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)

(سورة الأعراف)

فَهُمْ لَمَّا تَرَكُوا شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى، كَانَهُمْ قَدَّمُوا تصديفًا لطن إبليس بهم، نحن المؤمنون ولله الحمد، نَقَدَّمْ مَا طَنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَا، نَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ طَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِنَا، أَنَا عِنْدَ طَنِّ عِبْدِي بِي، فليطن بي ما شاء.

 } أنا عِنْدَ طَنِّ عِبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي تَفْسِيهِ ذَكَرْتُهُ فِي تَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَنَانِي يَمْشِي أُتَيْتُهُ هَذُوْلَةً. {

(أخرجه مسلم)

فنحن نطن بالله تعالى أنه يرحمنا، ويغفر لنا، ويتجاوز عثًا، فنطيعه ونلتزم أمره، لكن هؤلاء والعياذ بالله صدقوا طن إبليس بهم، إبليس قال: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) لم يقل لأقعدنّ لهم في الملاهي الليلية، ولا في البنوك الربوية، وإنما على الصراط المستقيم، الذي يريدون سلوكه إلى الله فأمنعهم منه، إبليس قال: (لَآئِبْتَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) يعني من الحدائث والتطور وعصر العلم، ونحن الآن في القرن الواحد والعشرين، وأنت ما زلت تتحدث عن الربا، الآن كل النظام ربوي دعك من هذا الكلام، (مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ)، (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) الأباتية، من أين أتيت لنا بهذا الكلام؟! نحن نشانا على ذلك، تربيتنا على ذلك، كذا نعيش مع بعض هذه الطريقة، جنث لنا الآن لتغير نمط الحياة، (وَمِنْ خَلْفِهِمْ). (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) يأتيه في صلته، في وضوءه فيوسوس له، كان بعض الناس إذا فقد شيئاً من حاجاته ولم يجده، يُقال له فَم فصل، ليس لتدعو الله من أجل أن تجده، ولكن لأنك إذا دخلت في الصلاة جاءك إبليس وجعل يذكرك بمكانه، فهو يأتيك في الصلاة (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ).

(وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) من المعاصي والآثام وما فيها من معصية الله تعالى، لكن لم يأتيهم لا من فوقهم ولا من تحتهم، لأن فوق هي جهة السماء، وبينك وبين الله إذا كنت مع الله لا يحول بينك وبين الله أحد، وتحت هي جهة الخضوع لله، وإذا كنت في قمة خضوعك لله وسجودك بين يديه، فالشيطان آيس منك، يبتعد عنك إبليس، هو يريد أن يحاصر بني آدم من الجهات الأربع، وقال في النهاية (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) فسباً لَمَّا أَعْرَضُوا، ولم يطبعوا الله تعالى، ولم يستثمروا نعم الله تعالى في طاعته، صدقوا على إبليس طنه، انظر إلى البيان القرآني، (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ طَنَّهُ) هو طنّ أن يعوبهم، فأكدوا له ذلك، هو طنّ ألا يشكروا (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ).

الطن هو مرتبة فوق الشك وتحت اليقين:

(وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ طَنَّهُ) الطن هو مرتبة فوق الشك وتحت اليقين، مراتب المعرفة تبدأ بالوهم، الوهم عشرين ثلاثين بالمئة، كأن أقول لك رأيت فلاناً في مركز التسوق، يعني توهمت أنه هو، يبدو أنه ليس فلاناً، لكن يشبهه كثيراً، هذا وهم، بعد الوهم يأتي الشك، الشك عند استواء الطرفين، أي خمسين بالمئة وخمسين بالمئة، بعد الشك الطن، الطن أصبح عندي سبعين بالمئة، غلبة الطن تسعين بالمئة، لكن اليقين الذي هو الإيمان والحق من الله تعالى، هو مئة بالمئة، اليقين لا يأتيه الشك، ولا يتطرق إليه الطن، ولا يكون وهماً بحال، والإيمان يقين، وربنا عز وجل سمى الموت يقيناً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)

(سورة الحجر)

ورثنا جلّ جلاله قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6)

(سورة التكاثر)

وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51)

(سورة الحاقة)

وعلم اليقين، وعين اليقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7)

(سورة التكاثر)

فاليقين يبدأ بالعلم، نحن الآن نعلم يقيناً أنّ الله تعالى سبحانه، وأنّ هناك يوماً آخر، نعلم يقيناً، فإذا رأينا بأعيننا يوم القيامة الجنة والنار، أصبحنا في عين اليقين، الرؤية، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، أصبحوا في حق اليقين، وإذا دخل أهل النار النار، أصبحوا في حق اليقين، أنت تنظر إلى الجدار فتري دخاناً، فتقول لا دخان بلا نار، هذا علم اليقين، ثم تستدير خلف الجدار فتجد النار هذا عين اليقين، ثم تضع يدك قريباً منها فيحرقك لهبها هذا حق اليقين، قال تعالى: **(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)** وأنت في الدنيا، تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، فتقول كما قال صلى الله عليه وسلم، كما في بعض الأحاديث، لما سأل أحد الصحابة، قال: أصبحت أرى الجنة عياناً والنار عياناً.

{ عَنِ الْخَارِثِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا خَارِثُ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، فَقَالَ : أَنْظُرْ مَا تَقُولُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي ، وَأَطْمَأَنَّ تَهَارِي ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِئًا ، > **وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَرَاوِرُونَ فِيهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَاعِقُونَ فِيهَا .** فَقَالَ : يَا خَارِثُ عَرَفْتَ قَالِرْمَ . ثَلَاثًا . }

(الطبراني في المعجم الكبير)

أي وكأنها أمامي، عين اليقين **(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)** يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

(سورة التكاثر)

إبليس كان يظن أنه يعوي عباد الله، فهناك من صدّق ظنه، وهناك من كذّب ظنه، لكنه لم يتيقن، وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (83)

(سورة ص)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"الَّذِينَ تَبْتَغُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ" وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)

(سورة البقرة)

هذه لها تفصيل في اللغة لسنا بصده الآن، (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ طَعْنَهُ فَاتَّبَعُوهُ) اتبعوا إبليس، (إِلَّا قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ" إِلَّا لَتَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنُهَا فِي سَبْكِ □
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21)

(سورة سبأ)

السلطان إمّا أن يكون بالقهر والغلبة أو أن يكون بالحجة والبيان:

السلطان يا كرام، إمّا أن يكون بالقهر والغلبة، أو أن يكون بالحجة والبيان، بالقهر والغلبة تفعل الشيء وأنت غير راض عنه، اليد التي لا تعجبك قلبها وادع عليها بالكسر، كما يقول أهل الشام، وبالبيان والحجة تفعله حُبّاً، مثل سائق يقود سيارته ووقف على إشارة المرور، لأنه يوجد ضابطة تضبطه وتخالقه، هو في أعماقه غير مقتنع بإشارة المرور، وبراهها تقييداً لحرية وليست ضماناً لسلامته، لكن سلطان القهر والغلبة جعله يقف، وهناك شخص آخر مرّ الساعة الثالثة ليلاً، لا يوجد كاميرا ولا يوجد ضابطة، لكنه وقف حتى فتحت الإشارة، لأنه يرى أنّ هناك سلطاناً عليه بالحجة والبيان، قد يسير فتأتي سيارة مسرعة فتصربه، فهذه وضعت ضماناً لسلامته لا حدّاً لحرية، إمّا أن يكون السلطان سلطان قهر، أو يكون سلطان حجة، سلطان الحجة أجمل، لأنك تفعل الشيء حُبّاً وكرامةً، إبليس لم يجعل الله تعالى له سلطاناً على بني آدم، لا قهراً ولا حجةً، ليس معه حجة، لأنه يأمر بالمنكر، فأين الحجة في ذلك، يأمر بالزنا فهل الزنا فيه خير؟! يأمر بالخمير فهل الخمير فيه خير؟! فالبين والحجة لا يوجد عنده، وقهر وغلبة، لم يجعل الله تعالى له سلطاناً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"إِنَّ عِبَادِي لَرِئْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ" إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِبِينَ (42)

(سورة الحجر)

وإبليس التقطها فقال يوم القيامة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ" وَوَعَدْتِكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ □
"وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي □
"فَكَفَرْتُمْ بِمَا أَسْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ □
"إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)

(سورة إبراهيم)

منال للطرفة: شخص يرتدي ثياباً بيضاء، ومتعطر، وذهب ليحضر حفلاً مدعو إليه، على الطريق فجأة لسبب أو لآخر، سقط في حفرة مياه آسنة، فامتألت ثيابه البيضاء اتساحاً، ذهب إلى المخفر ليستكني، قال له رئيس المخفر: على من تشككي؟ فقال على فلان، قال ماذا صنع بك؟ قال: أوقعني في الحفرة، قال له هل دفعك؟ قال لا والله، الكذب حرام لم يدفعني، قال له هل أشهر في رأسك مسدسا حتى تنزل؟ قال: لا والله ما أشهر مسدسا، قال هل أتى بأحد وحجم على الحفرة حتى لا تراها؟ قال: لا والله، فما الذي حصل إذا؟ قال أنا وأمّرت قال لي انزل هنا فنزلت، فضحك رئيس المخفر وقال له اذهب، أين الشكوى؟! (إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي □) أنا ليس لي سلطان، قلت لك خذ ربا فأخذت، فما دخلني؟ هو لعين عليه لعنة الله (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي □ فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمضركم وما أنتم بمضري □) كَفَرْتُمْ بِمَا أَسْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ □.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۚ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21)

(سورة سبأ)

الشیطان ليس له سلطان لكن له مهمة:

الشیطان له مهمة، هو ليس له سلطان لكن له مهمة، بمعنى أنه يُطلب منه أن يكون هو الطرف المقابل، لأن الإنسان إذا لم يكن في داخله قدرة على الاستجابة لأوامر الخير ونوازع الشر، إذا التكليف التقى نهائياً، لا داعي للتكليف، الطالب إذا لم يكن عنده القدرة على أن يدرس فينجح أو لا يدرس فيرسب، الكل ينجح بشكل أو توماتيكي، أو يرسبوا بشكل أو توماتيكي، أصبح لا معنى للجامعة، لكن لا بُدَّ من أن يكون عنده قدرة على الاستجابة هنا وهنا، فقال: **(إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۚ)**، ربنا عز وجل لا يعلم؟ حاشاه جل جلاله، ولكن لنعلم علم وقوع يستلزم منه المحاسبة.

هناك أستاذ من اليوم الأول أجرى امتحان بسيط للطلاب، فم يا فلان فقام، قال له: كتب الطالب، ما إعراب الطالب؟ قال: مفعول به مرفوع، فقال الأستاذ: هذا طالب من الصف التاسع ويقول على الفاعل مفعول به وهو مرفوع، فهذا الطالب راسب، فحكم عليه بالرسوب، فإذا أرسل إلى أهله مباشرة بطاقة رسوب بأن ابنكم راسب، هل يقبل الأهل هذا الكلام؟ يقولون له فدِّمه للامتحان أولاً، هذا مع بني البشر والله تعالى المثل الأعلى، وربنا جل جلاله علمه يكشف ما يكون، لكنه جل جلاله لعدله لا يجاسب على علمه بما سيكون، وإنما سبحانه على ما يقع منك، على الواقع، فقال: **(إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۚ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)**، حفيظ مبالغة اسم فاعل من حافظ، بمعنى أنه جل جلاله حافظ للأرزاق، حافظ للأعمال، حافظ للنعيم، حافظ لأعمالك، حافظ لكل شيء جل جلاله **(عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)**.

ثم يقول المولى جل جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ
(22)

(سورة سبأ)

المشركون يدعون من دون الله و أي شيء يدعى فهو من دون الله:

أحياناً الكرام: هؤلاء المشركون يدعون من دون الله، وكلمة من دون الله تشير إلى أن أي شيء يدعى فهو من دون الله، الله فوق كل شيء جل جلاله، فالذي مع الله ما فاته شيء، والذي لم يصل إلى الله فاتته كل شيء، فقال: **(قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ)** أي ما دمت تزعم أيها المشرك، أن هذا الصنم اللات أو العزة، أنه ربك لك فادعه من دون الله، أسأله الولد، أسأله الرزق، أسأله الصحة، أسأله العافية.

(قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) الذرّة هي النملة الصغيرة، اليوم الذرّة لها معنى فيزيائي متعلق بالعلوم الحديثة، لكن الذرّة هي الشيء الصغير المتناهي في الصغر، حتى كان العرب تطلقه على النمل الصغير، نسّميه الذرّة، **(لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)**.

مفهوم الربوبية ومفهوم الألوهية:

أحياناً الكرام: نحن عندنا مفهوم الربوبية ومفهوم الألوهية، وهذا تقسيم مدرسي، الربوبية والألوهية التوحيد واحد، لكن لبيان الموضوع، مشركوا العرب لم يكونوا ينكرون ربوبيته جل جلاله، يعني لا تجد في المشركين من كان يقول إن الله تعالى لم يخلقني، أو غير موجود، هذا الذي يحدث اليوم من الملحدين أو العلمانيين المغرقيين في العلمانية أو غير ذلك، هذا ما سبق سابقاً، لأنّ العقل يقتضي أن يقول إن الله خلقني، ورزقني وبعطيني، لكن الخلل كان دائماً في التوجه، أي إذا كنت تقول إن الله هو الذي يرزق، لماذا إذا أردت الرزق تطلب الرزق من غيره! تناقض، فقال: **(قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)** أولاً ليس لهم شيء من الملك، الملك لله، فأنت تدعو المالك أم تدعو المملوك؟

ثم قال: **(وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ)** أي ليس لهم ملك، وليس لهم شراكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ قَسْبَحَانَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)

(سورة الأنبياء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ □ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا
خَلَقَ □ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (91)

(سورة المؤمنون)

(وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ) الإنسان له أعضاء، والظهر هو أشدُّ الأعضاء قوةً، فيقول له أعطيني ظهرك، الأخ لأخيه ظهر، أي سند، فيستخدم الظهر دائماً للقوة في الإنسان، فالظهير هو المُظاهر، الموالي، ومنه يقال خرج الناس مطاهرةً، أي جعل كل منهما ظهراً لأخيه، بحيث تظاهروا على شيءٍ مُعَيَّن يدعون إليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ □ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)

(سورة الإسراء)

أي كلُّ منهم يدعم الآخر، قال تعالى مخاطباً بعض أمهات المؤمنين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ □ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ □ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)

(سورة التحريم)

أي تتفقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني آخر شيءٍ الدعم من الملائكة، الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة، يعني معقول إذا تمرد جنديان في أرض المعركة، أن يستنفر الجيش والقوات والقيادة العامة، كلهم يستنكرون من أجل تمرد عنصرتين؟! هذا من أجل أن يقول لك المولى جلَّ جلاله، إذا أردت أن تقف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في وجه الحق، أو في وجه دين الله تعالى، فاعلم من هو الطرف المقابل، اعلم من تعادي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)

(سورة البقرة)

يجب أن تعلم إذا وقعت، ليس أنتم حاشاكم، لكن لمن يفعل ذلك، أن يعلم من يقف في صف العدوان على المسلمين، أو استباحة دمايمهم، أو استباحة أعراسهم، أن يعلم من الذي سيخاضهم، ومن الذي سيفضضهم، (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) فهذا من معنى قوله تعالى: (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ) ليس لهم من يظاهريهم على فعلهم هذا.

فهذه الآيات الآن تنطلق للحديث عن التوحيد، توحيد الله عزَّ وجل، لا سيما التوحيد المتعلق بالتوجه إلى الله تعالى وهو أصل التوحيد، أن تحيين التوجه إلى الله تعالى، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، والحمد لله ربِّ العالمين.